خلافة المأمون
((198 – 218 هـ))
((813 -833 م))

وحسب السياسة التقليدية للخلفاء العباسيين عمل الخليفة على التخلص ممن يستشعر خطره من كبار الرجال الذين مهدوا له الطريق الى الملك فكان نصيب الفاتح الكبير طاهر بن الحسين أن أمر بالتخلي عن كل فتوحاته ، من كور الجبال والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن للحسن ابن سهل أخي الوزير الخطير الفضل الذي أستعمله المأمون ، بأيحاء الوزير من غير شك . ولم يفعل طاهر سوى مدافعته بتسليم الخراج حتى وفى الجند ارزاقهم وبعد ذلك كان على طاهر أن يسير حسب أوامر الحسن بن سهل الى الرقة على رأس قوات غير كافية لحرب احد ثوار الشام من رجال الأمين وهونصربن شبث الذي غلب على نواحي حلب وما جاورها من الجهات ، وعبر الفرات الى الجانب الشرقي يبغي التغلب عليه وفي نفس الوقت ولي طاهر الولايات المضطربة ، والتي لم تكن قد دخلت في الطاعة بعد ، وهي الموصل والجزيرة والشام والمغرب . أما عن هرثمة بن اعين فسيكون مصيره الموت بعد قليل .

العلويون وثورة أبي السرايا :

أنتهز اعداء الدولة عدم الاستقرار هذا وعملوا على الاستفادة من الاضطرابات فظن العلويون ودعاتهم الى أن الخلافة العباسية قد ضعفها الصراع وأن الفرصة مواتية لقيام دولتهم وفي 10 جمادي الثانية سنة 199هـ اعلنوا امامة أبي عبد الله محمد بن ابراهيم بن اسماعيل المعروف بابن طباطبا بالكوفة ، مركز العلويين ودعوا للرضا من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة .

وربما كانت الظروف التي قامت اثناءها دعوة ابن طباطبا تدعو الى التفكير في موقف قواد المأمون مثل طاهر وهرثمة وهل كان لهذا الموقف تأثير غير مباشر على الاقل على سير الحوادث في ذلك الاتجاه . فتنحية طاهر عما كان اليه من الاعمال التي افتتحها ، والعهد بها الى الحسن بن سهل أخي وزير المأمون القوي الذي أصبح يدعى ذا الرئاستين (اذ دارت الشائعات بأن الوزير غلب على المأمون) وكان من الطبيعي أن يثير ذلك بني هاشم ووجوه الناس وأن يهيج الفتن ، هذا عن طاهر ، أما فيما يتعلق بهرثمة فأن الرجل الذي قام بأمر حرب العلوي الذي يقودجيوشه أبو السراياواسمه السري بن منصور الشيباني الذي كان يعمل تحت قيادة هرثمة أثناء الصراع بين الأمين والمأمون . فلما أستتب الأمن عاد الرجل الى سيرته الأولى ويبدوان علاقة هرثمة قد انقطعت نهائيا بهذا الثائر ؟ .

على كل حال التقى أبو السرايا بابن طباطبا وأصبح قائده وعندما وجه الحسن بن سهل اليهما جيشا تمكنا من هزيمة هذا الجيش في أخر جمادي الثاني ولكن في الشهر التالي يموت ابن طباطبا ليقوم مكانه (محمد بن زيد) وعندما أرسل الحسن بن سهل جيشا ثانيا تمكن أبو السرايا من القضاء عليه قضاء تاما .

وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة وسير قواته الى البصرة وواسط ونواحيهما ، بل وأكثر من هذا ظن أن اطراف الدولة قد دانت له أو على وشك أن تدين ، فأرسل العمال والولاة الى مختلف الجهات الى البصرة والى مكة حيث فسد موسم الحج هذا العام والى اليمن وفارس والأهواز وقد غلبت رجاله على البصرة والأهواز والمدائن واليمن ، كما انسحبت امام قائده جيوش الحسن بن سهل التي كانت بواسط الى بغداد ، حتى طمع في دخول بغداد نفسها .

وعندما استفحل الخطر ، اضطر الحسن بن سهل الى استدعاء هرثمة الذي كان قد سار نحو خراسان وهو مختلف مع الحسن ورضي هرثمة بعد امتناع الذهاب لحرب أبي السرايا وتمكن من هزيمته بسهولة قرب المدائن فأرتد أبو السرايا والطالبيون الى الكوفة حيث قاموا بإعمال انتقامية ضد من بها من بني العباس ، فهدموا دورهم وأنتهبوا وخربوا ضياعهم ، ولكن لم يلبث أبو السرايا أن يخرج منها ودخلها هرثمة (في 16 من المحرم سنة 200 هـ) .

وانتهى الأمر بالقبض على أبي السرايا وقتله وتسيير رأسه الى المأمون .
وفي المدينة ونتيجة للاوضاع المضطربة تزعم محمد بن جعفر حركة بالحجاز في عام 200هجرية وبويع له في مكة بإمرة المؤمنين على كره منه وبضغط من العلويين ولم تنجح هذه الحركة لإسباب كثيرة ، وأخيرا تمكنت جنود هرثمة مع جنود والي اليمن المطرود من هزيمتهم وأعتذر محمد بن جعفر بأنها كانت فتنة عمت الأرض وخلع نفسه ، فيرسل به الى المأمون بمرو سنة 201 هـ .هكذا قضي تماما على الثورة اما القائد هرثمة فقد اودع السجن بتهمة ضلوعه في الاحداث التي وقعت او هذا ما سيتهمه به أعداؤه فيغضب عليه المأمون ويموت بعد ايام في حبس الفضل .

الاضطرابات في بغداد :

أما عن بغداد فكان من الصعب عليها أن تعيش مطمئنة بدون خليفة والقيت تبعة عدم مجيء الخليفة الى العاصمة على ابني سهل وأنتهز الجند تأخر ارزاقهم بعض الوقت فثاروا ضد الحسن بن سهل وتمكنوا من طرده هو وعماله (ونادوا بإسحق بن موسى الهادي نائبا للمأمون على بغداد) وحاول الحسن ارضاءهم بالمال بعد أن استعمل معهم العنف ، ولكن وصول خبر مقتل هرثمة وهروب بعض العلوين من سجن البصرة زاد من هياج الفتنة وخرج الحسن بن سهل عن بغداد ، وسار الحسن نفسه من المدائن الى واسط في اوائل سنة

201هـ وفكر الهاشميون وأهل بغداد من الغاضبين على الحسن بن سهل في مبايعة منصور بن المهدي وعرضوا عليه الخلافة ولكنه كان مخلصا للمأمون فأبى أخيرا ورضي أن يضبط الأمور بأسم المأمون أي أن يكون نائبا له ببغداد والعراق وكانوا يقولون لا نرضى بالمجوسي ابن المجوسي .

المطوعة في بغداد :

أزاء اضطراب بغداد وقيام الفتن بين الناس وانتشار السلب والنهب والمفاسد ، من قطع الطريق الى أخذ النساء او الصبيان علانية وقصور السلطات عن ضبط الامور ، قامت حركة شعبية تهدف الى نشر الأمن والطمأنينة وحسن المعاملة بين الناس ، واتخذ القائمون بهذه الحركة المبدأ الاسلامي الشهير :" وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " شعارا لهم معنى ذلك أن الحركة كانت في أول امرها عبارة عن دعوة الى التقوى ولزوم أوامر الدين هذه الدعوة ستعطي اعمال الجماعة عندما تضرب على ايدي الفساد صفة شرعية اذ أن هذا العمل من اختصاصات صاحب الأمر الشرعي .

وأول من فكر في تنظيم هذه الحركة رجل أسمه خالد الدرويش ، دعا هذا الرجل جيرانه وأهل محلته الى معاونتهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعلا قاتل الفساق وتمكن من هزيمتهم كل هذا في حدود الأعتراف بسلطان ولي الامر . وقام بعد ذلك رجل اسمه سهل بن سلامة وعلق مصحفا في عنقه ودعا الناس لمناصرته في دعوته ، ولكن لما كان كثير من أصحاب هذين الداعيين من عامة الناس وغوغائهم فأن المنصور بن المهدي الذي دخل بغداد قاومها وهزم اصحابها وفي هذا الوقت كانت هناك مفاوضات بين الحسن بن سهل وأهل بغداد من اجل تأمينهم على أن يعطي لهم وللجند من الثوار الارزاق وفعلا تم الاتفاق على ذلك وعاد الحسن بن سهل الى بغداد (13 شوال سنة 201هـ) الا أن سهل بن سلامة ظل على ما كان عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الأمام الرضا (عليه السلام) وولايته عهد المأمون :

في أواخر سنة 200هـ - 815م ، كتب المأمون الى الأمام الرضا (عليه السلام) يستقدمه الى خراسان فأعتل الأمام بعلل كثيرة فما زال المأمون يكاتبه فأضطر الأمام لقبول عرض المأمون على أن يعزل نفسه ويجعله خليفة بدلا عنه فقال الأمام الرضا (عليه السلام) أن كانت الخلافة لك والله جعلها لك ، فلا يجوز لك أن تخلع لباسا ألبسه اياك الله وتجعله لغيرك ، وأن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك (فقال المأمون فأن لم تقبل الخلافة فكن لي ولي عهدي لتكون لك الخلافة من بعدي) رفض الأمام ولاية العهد بشدة لكن المأمون اجبره على ذلك وهدده بالقتل فما كان من الأمام الا القبول مكرها وشرط على المأمون قائلا :(أنا اقبل ذلك على أني لا اولي احد او اعزل احد ولا أقض واكون في الأمر من بعيد مشيرا) فقبل المأمون ذلك فأمر المأمون بطرح الثياب السود ولبس الخضرة وذلك يوم الثلاثاء ليلتين خلتا من شهر رمضان سنة 201هـ / 816 م .

اسباب ودوافع البيعة للأمام الرضا (عليه السلام) :

من الصعب أن يركن الباحث الى فكرة نهائية او رأي محدد عن الاسباب الحقيقية التي جعلت المأمون يعطي ولاية العهد لعلي بن موسى (عليه السلام) لكننا سنحاول أن نجمع أهم هذه الاسباب مع العلم أن المؤرخين الاقدمين والمحدثين قد اختلفوا في هذه الاسباب وطرحوا افكارا مختلفة بشأنها وفيما يأتي اهم هذه الاسباب :

1- أن المأمون لم يجد في البيتين العلوي والعباسي افضل من الأمام الرضا (عليه السلام) علما و ورعا ليكون وليا للعهد من بعده .

2- أن هذه البيعة نوع من رد الجميل للبيت العلوي كون الأمام علي (عليه السلام) ولي عبد الله بن العباس البصرة وعبيد الله بن العباس اليمن ومعبد بن عباس مكة وقثم بن العباس البحرين وهؤلاء أجداد المأمون .

3- نذر المأمون حين ضاق عليه الأمر في ايام حربة مع الأمين أن يجعل الخلافة في أفضل آل أبي طالب .

4- أراد المأمون الكيد والحيلة للأمام (عليه السلام) لإسقاط مركز العلويين في نظر الناس واظهار الأمام بأنه طالب للدنيا والجاه .

5- كانت هذه البيعة تهدف ظاهريا التعاطف مع البيت العلوي وعمليا ليست الا مناورة سياسية بارعة لكشف الشخصيات العلوية .

6- أن الفتن التي مزقت المسلمين وخروج الكثير من الاقاليم عن سلطة الدولة ولكي يضع حدا للتنافس التاريخي بين العلويين والعباسيين وتهدئة النفوس حتى يتمكن المأمون من

الحفاظ على كيان خلافته ، فكانت هذه المناورة السياسية هدفها اخماد ثورات العلويين التي باتت تهدد عرشه .

وذكر الصدوق : ((صعد المأمون المنبر ليبايع علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب والله لو قرئت هذه الأسماء على الصم والبكم لبرئوا بإذن الله عز وجل)) : ((كانت البيعة للرضا (عليه السلام) في شهر رمضان سنة 201هـ)) .

وذكر المفيد : ((وأمر المأمون فضربت له الدراهم وطبع عليها اسم الرضا (عليه السلام) وخطب للرضا (عليه السلام) من كل بلد بولاية العهد)) .
وذكر سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : ((ثم قرىء العهد في جميع الافاق وعند الكعبة وبين قبر الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ومنبره وشهد فيه الخواص والمأمون واعيان العلماء ومن ذلك شهادة الفضل بن سهل)) .

وكان الأمام الرضا (عليه السلام) يكثر وعظ المأمون اذا خلا به ويخوفه الله ويقبح له ما يرتكب من خلافه فكان المأمون يظهر قبول ذلك منه ويبطن كراهته واستثقاله.
واختلفت الروايات التاريخية في وفاة الأمام الرضا (عليه السلام) غير أن اكثر هذه الروايات تؤكد أن المأمون سقا الأمام الرضا (عليه السلام) السم في الطعام او (شراب الرمان) .

ولما استشهد الأمام الرضا (عليه السلام) كتم المأمون موته يوما وليلة ثم انفذ الى محمد بن جعفر الصادق (عليه السلام) وجماعات من آل أبي طالب الذين كانوا عنده فلما حضروا نعاه اليهم وخرج في تشييعه حتى انتهى الى الموضع الذي هو مدفون فيه الان فدفنه والموضع هو دار حميد بن قحطبة في قرية يقال لها سنا اباد بأرض طوس .
ونختم هذا البحث بمناظرة حصلت بين الأمام الرضا (عليه السلام) وأحد الاشخاص حول اسباب قبول الأمام الرضا (عليه السلام) بولاية العهد .
قال الرجل : لمل قبلت ولاية عهد المأمون .
قال الأمام : ايهما افضل النبي ام الوصي ، قال الرجل : النبي ، قال الأمام : فأيهما افضل المسلم او المشرك ، قال : المسلم ، قال الأمام : فأن عزيز مصر كان مشركا ويوسف (عليه السلام) نبيا ، وأن المأمون مسلم وأنا وصي ويوسف سأل العزيز أن يوليه حين قال : ((أجعلني على خزائن الأرض أني حفيظ عليم)) .